

أصالة التشيع اجتماعياً في بغداد حتى نهاية الغيبة الصغرى (الجدور والتطور وعوامل الانتشار)

حيدر الساعدي^١
حامد منتظري مقدم^٢

خلاصة

مدينة بغداد من العواصم المهمة في تاريخ الإسلام الاجتماعي، وبما أنها مدينة جديدة تأسست في منتصف القرن الثاني الهجري فقد اعتمدت على مدن كان التشيع قد ضرب جذوره فيها، فنمت بغداد واينعت من هذه الجذور، وأعطت ثمارها ناضجة وواضحة للعيان. لكن وللأسف الشديد قامت مجموعة من الكتاب في القرن الأخير بتحريف الحقائق والشواهد التاريخية، فسعوا الى تثبيت مفهوم عدم أصالة التشيع اجتماعياً في العراق عموماً، وبغداد على وجه الخصوص، وأن التشيع إنما ظهر فيها بعد دخول البويهيين إليها. وعلى هذا فهنا سؤال يطرح نفسه، وهو كيف يمكن لنا إثبات أصالة التشيع اجتماعياً في بغداد منذ بداية تأسيسها (١٤٥ هـ) حتى نهاية الغيبة الصغرى (٣٢٩ هـ)؟

وقد افترضنا أن أصالة التشيع الاجتماعية تضرب في عمق بغداد منذ التأسيس والفترة الاولى لوجودها، وليست متاخرة عنها، هدفنا هو توضيح الدور المهم للمكون الشيعي في

١. دانشجوی دکتری جامعه المصطفی العالمیه (نویسنده مسؤول): halsaady32@gmail.com

٢. دانشیار، مؤسسه آموزشی و پژوهشی امام خمینی (ره): montazeri@qabas.net

تاریخ پذیرش: ۹۸/۹/۱۸

تاریخ دریافت: ۹۸/۶/۱۸

٤. مطالعات تاريخي جهان اسلام

سال هشتم، شماره ١٥، بهار و تابستان ١٣٩٩

بغداد منذ تاسيسها واصالتهم اجتماعياً، وتطور مسيرتهم حتى منتصف القرن الرابع الهجري، وإعطاء الصورة الحقيقة لذلك الوجود، وبيان مدى تأثيره في مجتمع بغداد. وقد قمنا باستخراج كم هائل من الأدلة والشواهد التي وردت في أمهات المصادر التاريخية عن الشيعة ورجالها وحركاتها الاجتماعية، مع فرز وتصنيف الأدلة والشواهد، كل دليل بحسب موضوعه، ومنهجنا في هذا البحث توصيفي وتحليلي. وما وصلنا إليه حقائق ثابتة دلت عليها النصوص المعتمدة والشواهد، وأيدها كثير من أئمة التاريخ الإسلامي، وأعطت للبحث أدلة لا يمكن أن تُعارض أو يشكك فيها على الصعيد التاريخي.

الكلمات المفتاحية

أصالة التشيع، التاريخ الاجتماعي، بغداد، الدولة العباسية، المدائن، بنو عبد القيس، الألم والدم العلوي.

مقدمة

مما لا شك فيه أن مدينة بغداد في فترة التأسيس والتكوين الأولى اعتمدت على تجمعات بشرية ومدن قريبة أمدتها بما تحتاجه، وانتقلت إليها لتكون مدينة تجمع كل الألوان والأطياف، وقد اعتمدت على ثلاث مدن رئيسة بنسبة كبيرة جداً لأسباب جغرافية، وسياسية، وعسكرية، وثقافية أيضاً، فكانت هذه المدن هي النواة التي شكّلت بغداد اجتماعياً، بالإضافة إلى القبائل العربية والطبقات الخاصة من الأشراف والأنصار وغيرهم، وستنعكس تركيبة هذه المدن الثلاث وتؤثر تأثيراً كبيراً جداً في تركيبة بغداد الفكرية والاجتماعية. فجمهور وسكان بغداد وأهلها هم مزيج جمع هذه المدن الثلاث بنسبة كبيرة جداً، ولا ننفي غيرها أيضاً ولكن على احسن التقادير أنّها قليلة جداً.

١ . المفاهيم و سابقة البحث

١.١ . المفاهيم

١.١.١ . الأصالة

أصل: جمعه أصل وأصول: أساس يقام عليه، وهو أول الشيء ومادته التي يتكوّن منها أصل الموضوع، وهنا بمعنى العراقة والرسوخ والثبات للأصول والجذور (حمدان الصوفى، ١٤١٦ ص ١٩).

١.١.٢ . التشيع

هو: المشايعة والمتابعة والمناصرة والموالاتة(أسماعيل بن حماد الجوهري ، ١٩٩٠، ج ٣ ص ١٥٦) .

الشيعة: هم من شايعوا علياً وقالوا بإمامته وخلافته، نصاً ووصايةً، إماماً جلياً وإماماً خفياً، وأعتقدوا أنّ الأمامة لا تخرج من أبنائه، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، او بتقية من عنده.(محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ١٩٤٨، ج ١، ص ١٤٦) ، وهناك معاني اخرى متشابهة وموسعة لهذا التعريف (منتظري مقدم، حامد، ١٣٩٣، ص ١٠٧)، وقد غلب اصطلاح التشيع على الطائفة الامامية، وهم جمهور الشيعة.(المسعودي، ١٩٨٤، ج ٤، ص ١١٢) وهو ما نقصده هنا في بحثنا.

وينتج لنا من تركيب الجملة (أصالة التشيع) معنى يعطى الأمتداد والتجذر الثابت للتشيع منذ تأسيس بغداد (١٤٥ هـ) حتى نهاية الغيبة الصغرى (٣٢٩ هـ).

١.١.٣ . الاجتماعى

ونقصد به دراسة الطبقة الاجتماعية وجذورها وتطورها ونموها، وطبيعة العلاقات العامة فيما بينها أو مع غيرها، وما تتركه تلك العلاقات بدورها من أثر مهم فى تشكيل المدينة، ومعرفة القبائل والاسر والشخصيات البارزة والمؤثرة التي كانت لها بصمة واضحة فى التركيبة السكانية.(مجموعة من المؤلفين، ١٣٨٦، ص ٦٦).

١.١.٤. الغيبة الصغرى

هى الفترة الممتدة ما بين عام ٢٦٠ - ٣٢٩ للهجرة، ونقصد بها الفترة التي احتجب فيها الامام المهدي (عج) عن عامة شيعته واصحابه. (الصدوق، ١٣٦٣، ج ٢، ص ٤٣٤).

٢.١. سابقة البحث

على الرغم من الأهمية القصوى لهذا الموضوع على الساحة العلمية، إلا أنه لا يوجد بحث علمي جامع تناول هذا الموضوع وهذه الفترة بشكل مستقل، إلا مواضيع متفرقة وغير جامعة في كتب متعددة كانت سابقة البحث، نذكر منها على سبيل المثال «المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية» جواد علي، (٢٠٠٥)، «تعامل شيعيان إماميه باديكر مسلمانان در سه قرن اول هجرى» سيد عبد الله حسيني، (١٣٩٥)، «تشيع در عراق در قرون نخستين» ملك مكان، حميد أمير سلطاني و مصطفى سلطاني، (١٣٨٩)، «الشيعة في ايران، دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجرى» رسول جعفریان، (١٣٩٣)، «تاريخ سياسى غيبى امام دوازدهم» جاسم حسين (١٣٩٢)، «سازمان وكالت ونقش ان در عصر أئمه» محمد رضا جبارى (١٣٩٣)، «زندكى فرهنگى وسياسى شيعيان بغداد» سيد حسن موسى، (١٣٨١)، «آلام الحلاج» لويس ماسينيون (٢٠٠٤)، «تاريخ الدولة العباسية» سهيل طقوش (٢٠٠٩)، «البيوتات العلوية فى العصر العباسى» د. سولاف فيض الله حسن (٢٠١٣)، «باز شناسى تاريخى مفاهيم شيعه» حامد منتظرى مقدم (١٣٩٣)، «انتشار القبائل العربية فى خراسان» عبد الحسين على احمد (١٩٨٨).

٢. جذور التشيع فى بغداد

٢.١. المدائن

كانت المدائن على ما ذكر المصنفون المسلمون، تتألف من سبع مدن فقد ذكر الحموى: «أن المدائن سبع مدن متقاربة، ثلاث على الجانب الغربى، وأربع على الجانب الشرقى، و مدينتها العظمى طيسفون، تابعة للكوفة منذ الفتح» (الحموى، ١٩٧٩، ج ٥، ص ٧٥)، ما يعنى أن بقية المدن اندمجت فى بغداد وأصبحت جزءاً منها، ولم يبقَ من المدائن الا قرية واحدة، وهى سلمان باك الحالية بعيدة عن العاصمة، وهذه واحدة من القرى السبعة.

أصالة التشيع اجتماعياً في بغداد حتى نهاية الغيبة الصغرى ٤٣

إنّ الخطيب البغدادي ذكر عبارة مهمة عن أهمية المدائن ودورها الاجتماعي المؤثر في بغداد، فهي كالممتصلة بها في حقيقة الأمر، قائلاً: «أوردنا ذكر المدائن في كتابنا لقربها من مدينتنا، وذلك أنّ المسافة إليها بعض يوم، فكانت بالقرب كالممتصلة، وإنّ تقديمنا لها تبركاً بأسماء الصحابة الذين نزلوا بها» (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، ج ١، ص ١٣٨).

والمدائن ركيزة مهمة في تكوين بغداد والمؤثر الطبيعي فيها؛ لقربها منها، واعتماد الثانية عليها في بداية التأسيس اعتماداً لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الاحوال؛ إذ إنّها رافد بشري وممول صناعي وحرفي دائم لعملية البناء، كما أنّ المدائن تتصل بأقاليم شمال العراق وأرمينية، و بالمناطق الجنوبية من العراق عن طريق دجلة أيضاً، ولم تذكر المصادر التاريخية أيّ جسر على دجلة غير جسر المدائن حتى صدر الاسلام ايضاً (صالح العلي، ١٩٨٨، ص ٢٨٥).

لقد اصبحت المدائن بفترة قصيرة جدا بعد الاسلام من الاماكن الشيعية المهمة، وكان احد اسباب انتشار التشيع فيها أنّ شيعة المدائن كانوا من الناس الذين هاجروا إليها من الكوفة (البلاذري، ١٩٧٧، ج ٥، ٢٠٦).

ولا يخفى أنّ سلمان المحمدي (رض) كان له ولقبره دور مهم في ظهور واستقرار التشيع فيها،

وذكر النوبختي أنّ كثيراً من اهل المدائن كانوا من غلاة الشيعة، وذلك في حديثه عن قيام فرقة الحارثية من بينهم، وهي من الغلاة (قبل سنة ١٢٧ هـ)، ولها احاديث خاصة بسلمان (النوبختي، ١٩٨٤، ص ٢٩)، و بقيت المدائن كذلك حتى القرن السابع لا يسكنها إلاّ شيعة متحمسون (القزويني، بدون تاريخ، ص ٤٥٣).

ومما يذكر أنّ جمهوراً كبيراً من شيعة المدائن كانوا مع التوايين في نهضتهم (الطبري، ١٩٨٣، ج ٤، ص ٤٢٩)، ولهم حضور في كل الحركات الشيعية بعد ذلك، وحين تم تأسيس وبناء بغداد اعتمدت على هذه المدينة بهذا التركيب والنسيج الاجتماعي الشيعي الواضح.

٢.٢ الكوفة

أصبحت الكوفة مرادفة لكلمة التشيع والشيعة؛ إذ انها اهم موقع له، وجذوة تنوقد محبة لآل البيت. (ابن ابى الحديد، ١٤١٧، ج ٣، ص ١٩٨).

كانت قبائلها تغلى على الامويين وتتقم ما فعلوه باهل البيت، حتى أن همدان - تلك القبيلة المتأججة في شيعيتها - جرّوت نساؤها على أن يندبن الحسين مباشرة بعد وفاته (المسعودى، ١٩٨٤، ج ٣، ص ٨٥)، وكان لقبيلة طيء التي كانت من شمال الصحراء العربية، وعبد القيس من الساحل الشرقى للخليج (هاينس هالم، ٢٠١٠، ص ١٥)، دور مهم للتشيع في هذه المدينة. ولاننسى دور قبيلة الجعف، وهى القبيلة التي كانت مرتبطة أشد الارتباط بأئمة الشيعة عليهم السلام (لويس ماسينيون، ١٩٨٨، ص ١٣).

أن المذهب الشيعى نجح فى أن يجتذب اليه القبائل العربية فى بلاد العرب وبادية الشام. (هاملتون جب، ١٩٧٩، ص ١٤)، أضف الى ذلك جموع الموالى الذين التحقوا بهذه القبائل أيضاً، فالحمراء كانوا حلفاء عبد القيس، وهم أربعة آلاف جندى فارسى، وتحالفهم قد عقد بعد وقعة القادسية، وبما أن عبد القيس كانوا من الشيعة فصار حلفاؤهم مثلهم. (لويس ماسينيون، ٢٠٠٩، ص ٥٧، ٢٤، ٢٠)

لقد تلقّت الكوفة ضربتين متواليتين، الأولى فى عهد الأمويين عند تأسيس واسط، والثانية حين أسس المنصور العباسى بغداد، وطغى ازدهار بغداد على الكوفة. (هاينس هالم، ٢٠١٠، ص ١٦).

اراد العباسيون ألا تكون العاصمة الجديدة لهم بعيدة عن الكوفة، ولا قريبة ايضاً منها، فموقع العاصمة كان بالقدر الذى يسمح للعباسيين بقمع أى تمرد يحصل فيها، وبعيدة بالقدر الذى يمكن العباسيين من منع تعاطف أهل الكوفة مع العلويين (نجم حيدر، ٢٠١٧، ص ١٩). أن تشيع المجتمع الكوفى كان تشيعاً علوياً حقاً، ولذلك لم يُخدعوا بمكر العباسيين، وحينما أقام السفّاح فيها فترة، طلب منه المنصور أن يتركها؛ لأن فيها شيعة آل أبى طالب (البلاذرى، ١٩٧٧، ج ٢، ص ٢٣٨).

وظنّ العباسيون أن بانتقال العاصمة الى بغداد سيخمد ويحاصر صوت الولاء الشيعى، لكن ما لم يفظنوا اليه أن «قرب أرض بغداد من الكوفة كان قد ساعد فى انتشار التشيع فى هذه المنطقة منذ حكومة الامام على» (حميد ملك مكان، ١٣٨٩، ص ٢٣١).

إذاً فالكوفة كانت الرافد الثانى لجمهور الشيعة فى بغداد، والمكون المهم والرئيس لهذه العاصمة الجديدة؛ لقربها وتداخل سكّانها، وكثرة قبائلها التي أخلصت الولاء للعلويين.

٣.٢. خراسان

وهي بلاد شاسعة الرقعة إلى الشرق من إيران، وتتبعها من الناحية السياسية بلاد ما وراء النهر (الحموى، ١٩٧٩، ج ٢، ص ٤٠٩).

لقد استقرت في خراسان قبائل عربية مهمة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تركيبة خراسان الاجتماعية (اليقوي، ١٤١٤، ص ٢٩٤)، وكان لها دور مهم في الحركة العقدية (رسول جعفریان، ١٣٩٣، ص ١٦١) والسياسية، وقيادة المعارضة لاسقاط الدولة الاموية (عبد الحسين على، ١٩٩٨، ص ٤٧)، وفي القرن الثاني توجه المورخون الى الكتابة والتدوين عن بغداد وايران وخراسان على الخصوص (سيدعبد الله حسيني، ١٣٩٥، ص ٣٤).

عانت خراسان كغيرها من ظلم الامويين (الطبرى، ١٩٨٣، ج ٥، ص ٣٩٧) ولم يكن أمامهم إلا الثورة التي خرجت صيحتها من هذه البلاد. وكان التشيع منتشرًا في خراسان لاسباب عديدة، منها استقرار الشيعة الذين تم تهجيرهم عام (٥١ هـ)، وهم خمسون ألفاً من عرب الكوفة والبصرة الى خراسان، وفي عام (٩٦ هـ) شحنت خراسان بخمسين ألف مقاتل من البصرة من اهل العالية، ومن بكر وتميم وعبد القيس ايضاً (الطبرى، ١٩٨٣، ج ٦، ص ٥١١).

ولقبيلة خزاعة دور مهم ايضاً في خراسان، ومن شخصياتها المهمة سليمان بن كثير الخزاعي، وهو الذى دعا الناس الى بنى هاشم، وكانوا أول من التحق بأبى مسلم الخراسانى. (مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجرى، ١٩٧١، ص ٢٧٤)، لذلك نجد من الطبيعى «أن الدعوة الشيعية التي قامت بأسم آل البيت والتي نادى بأن الطالبين هم الورثة الطبيعيون لخلافة النبى ﷺ، وجدت في خراسان أرضاً صالحة لنموها» (محمد سهيل طقوش، ٢٠٠٩، ص ٢١ هامش).

لقد كان في استشهاد يحيى بن زيد أكبر فائدة للعباسيين؛ إذ كانوا يمارسون نشاطاتهم باسم هذه الظلامات، ويبثون دعواتهم، وكان أبو مسلم الخراسانى أحد دعواتهم المشهورين، وقد استغلَّ وجاهة يحيى كثيراً، وكان أهل خراسان يحبون يحيى حباً جمّاً (البلاذرى، ١٩٧٧، ج ٢، ص ٢٤٢ و ٢٤٣).

ومما تجدر الاشارة اليه أن الخراسانيين ومن والاهم من أهل طبرستان والديلم، قبل قيام الدولة العباسية، هم من شيعة على، وإنما بايعوا العباسيين مجارة لأبى مسلم أو خوفاً منه

(جرجى زيدان، ٢٠١٢، ج ٤، ص ٢٣٢). وهولاء انتقلوا جميعاً بهذا العشق الذى وصفه الخليفة المنصور بلوعة والم عندما قال: «إنّ محبة آل أبى طالب فى قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا» (البلاذرى، ١٩٧٧، ج ٣، ص ١١٥). واستقر منهم ما يقرب من عشرين ألف جندى من اهل خراسان فى بغداد (الطبرى، ١٩٨٣، ج ٦، ص ٤٦١)، وهذه صورة ثالثة عن مكوّن مهم من المكونات الاجتماعية الأصيلة التى تكوّنت منها بغداد.

٣. تطور التشيع فى بغداد

فى بغداد بدأت بعض المفاهيم تلاشى وتحل محلها مفاهيم أخرى جديدة نابعة من التغييرات الفكرية والدينية او السياسية التى اثرت وغيّرت فى الساحة الاجتماعية. ولعل من اهم مظاهر العصر العباسى محاولتهم لتفكيك النظام القبلى فى بغداد.

٣.١ القبائل والاسر الشيعية

ذكر القاضى عبد الجبار المعتزلى (ت ٤١٥) نصاً مهماً يكشف صورة اجتماعية وسياسية فى بغداد، اذ قال: «كان الشيعة ببغداد مثل بنى البسطام، وبنى أبى بعل، و آل الفرات يرجفون أنّ المهدي قد ظهر بالمغرب، وصدرت رسل بنى البسطام وغيرهم من الشيعة الى المغرب، بادر فأنّ الارض كلها لك، والخليفة ببغداد (وهو يومئذ جعفر المقتدر بالله) صبى، ونحن أجلسناه وله اثنتا عشرة سنة، وأولياؤه ومن حوله شيعة من آل الفرات و آل البسطام و آل قاسم بن عبيد الله و آل البغل والكرخيين و آل نوبخت» (القاضى عبد الجبار الهمدانى، ١٩٦٦، ج ٢، ص ٥٩٩-٦٠٠). وهو وثيقة مهمة جداً استعرض خلالها الاسر الشيعية التى استطاعت ان يكون لها وجود اجتماعى مهم فضلا عن بقية الجوانب التى فى النص، وسنكتفى بنماذج لإثبات أهميتها فى التركيبة الاجتماعية للعوائل الشيعية فى بغداد منذ تأسيسها.

العلويون: بلا شك أنّ أشرف العوائل نسباً هى العوائل والأسر العلوية، ولا بدّ لنا أن نبدأ الحديث عنهما أولاً؛ لان بغداد تانى أكبر الأماكن التى استوطنها العلويون بعد الحجاز، وكان لهم شأن كبير فيها، بل مركز ثقل العلويين ومكان تجمعهم، حتى نافسوا العباسيين فى ثقلهم بالنسبة للخاصة من الناس وعامتهم، وقد وفدوا الى بغداد لاسباب متعدّدة (ابن طباطبا، ١٣٧٧، ص ٥٠)، وكان ذلك قبل انفصال النقابة بين العلويين والعباسيين، وقبل ان تسوء

٤٧ أصالة التشيع اجتماعياً في بغداد حتى نهاية الغيبة الصغرى

الاحوال مع السلطة الحاكمة فيما بعد، فبعد ان ساءت العلاقة خصوصاً في خلافة هارون الرشيد (١٧١ هـ) أخرج العلويين جميعاً من بغداد وأبعدهم الى المدينة؛ لشكّه في ولائهم لحكومته، وأوعز الى واليه على المدينة بكر الزبيرى بالتشديد عليهم (الذهبي، ١٩٩٣، ج١١، ص٦).

وفي عام (٢٠٦ هـ) قضى المامون على اخر معارضة لحكمه من قبل العلويين بعد ان ألقى القبض على الثائر العلوى فى اليمن عبد الرحمن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن ابي طالب، وامر بعدها بمنع اولاد على وذريته من دخول القصر(المصدر السابق، ج١٤، ص٢)، أما المتوكل فانه امر بنفى العلويين من مصر الى بغداد اثناء فترة حكمته(ابن تغرى بردى، بدون تاريخ، ج٢، ص٢٨٣)، وبذلك استقرت مرة أخرى نسبة كبيرة منهم فى بغداد.

على أن أهم شخصيات هذه الأسر التي سكنت بغداد، كانت رموزاً دينية واجتماعية وأسرية، وأصبحت مصدراً لسكن العلويين وشيعتهم فى هذه المدينة، وقد ذكر ابن طباطبا (١٣٧٧، ص٣٢)، اسماءهم بشكل مفصل، منهم:

إبراهيم الغمر ابو اسماعيل العلوى (ت١٤٥)، اول من مات من العلويين فى حبس المنصور.

يحيى بن عبد الله العلوى (ت ١٦٧).

موسى بن جعفر عليه السلام (١٨٣-١٢٩).

محمد بن على الجواد عليه السلام (ت ٢٢٠).

يحيى بن الحسن العلوى (ت ٢٣٧).

داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب (ت ٢٦١).

جعفر بن محمد العلوى (ت ٣٠٨).

القاسم بن جعفر العلوى (٣١١).

عبيد الله بن على العلوى (ت ٣١٢)، نقل عنه البغداديون الأحاديث.

الحسين بن احمد العلوى (ت ٣٣٩).

الحسن بن زيد العلوى (٢٥١-٣٤٤).

وقد رووا عن ابائهم احاديث رسول الله ﷺ فى فضائل على واهل بيته، كحديث سد

الأبواب الذي رواه جعفر بن محمد العلوى (٣٠٨ هـ)، وبعضهم حدث عن الأئمة عليهم السلام مثل داود بن القاسم، وبهذا استطاعوا خلق بيئة مهمة للتشع اجتماعياً، خصوصاً وأنهم كانوا وجوه بنى هاشم وعظمائهم وكبرائهم وحلمائهم. (ابن الجوزى، ١٩٩٢، ج ١٥، ص ٢٧٠ و ج ١٤، ص ٨١)

وقد حاول العباسيون الاستفادة من الوجود العلوى فى بغداد، تارة لأخفاء جرائمهم كما فعل السندى بعد قتل الإمام الكاظم (اليقوبى، ١٤١٤، ج ٢، ص ٤١٤)، وتارة اخرى اذا رغبوا باسترضاء الناس كما فعل المهدي حين أمر بإطلاق سراح العلويين (ابن الأثير، ١٩٦٥، ج ٥، ص ٥٧)، أو حينما قرّر المعتضد السماح بجمع التبرعات لإعادة بناء قبور الأئمة التي دمرها جدّه المتوكل (ابن الجوزى، ١٩٩٢، ج ١٢، ص ٣٧١).

بنوعيد القيس: تعتبر قبيلة عبد القيس من قبائل ربيعة العدنانية (عمر كحالة، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٧٢٦)، وقد تزعمت قبائل ربيعة كلّها فى بعض الأزمنة وسكنت هذه القبيلة المدائن والكوفة والبصرة وأماكن مختلفة كثيرة قبل الإسلام وبعده. وكما نعرف فإن خطط بغداد لم تكن خططاً قبلية، بل اختلفت بغداد عن غيرها، فقد وزعت الأراضى والأقطاع على الشخصيات والقادة وتسمت باسمائهم (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، ج ١، ص ٩٠) كمنطقة مربعة الخرسى صاحب شرطة المنصور. (الحموى، ١٩٧٩، ج ٢، ص ٣٥٨)

فى محاولة لتفكيك نفوذ القبائل او السيطرة عليها، لكن بقيت مناطق خاصة باسم بعض القبائل فى بغداد كمناطق بنى نهيك والأنباريين، وكان أقدم من سكنها زياد القندى احد اصحاب الامام الكاظم، وكان لهم مسجد خاص بهم؛ لكنرتهم. (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، ج ١، ص ١٠٧).

لقد كان لعبد القيس موقف فى نصره ونشر التشيع حفظه لها التاريخ، يقول الثقفى: «كانت عبد القيس تشيع» (الثقفى، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٧٨٧) وقيل فيها أيضاً: «عبد القيس شيعة من البدء وظلوا كذلك» (لويس ماسينيون، ٢٠٠٩، ص ٣٦). وكان لهم موقف خاص فى نصره على عليه السلام (المنقرى، ١٣٨٢، ص ١٧٣)، لذلك كانت قريش وثقيف تبغضهما وتحترقهما. (لويس ماسينيون، ٢٠٠٤، ص ٢٧٣).

أن كثيراً من تراث عبد القيس الولائى تم حفظه فى مدرسة بغداد على ما يظهر، فإننا نجد عبد الله بن سنان، ينقل لنا على سبيل المثال مجريات اخر لحظات حياة زيد بن صوحان مع

امير المومنين (محمد بن عمر الكشي، ١٤٠٤، ج ١، ص ٢٨٤ - ١١٩).
آل نوبخت: أول من يُذكر من آل نوبخت ويشار إليه هو نوبخت المجوسى الذى عاش
في عصر المنصور العباسى (١٣٦ - ١٥٨هـ)، وإليه ينسب أعضاء هذه الأسرة الكبيرة، واشتهر
اولاده بالتشيع (المفيد، ١٩٩٣، ص ١٤٤).

وتحدث الطبرى عن سنة (١٤٥هـ)، وأن فيها أقطع أبو جعفر المنصور نبيخت ألقى جريب
بنهر جوب قرب بغداد، ويبدو أن نوبخت وأولاده ابتنوا لهم دوراً وأنشؤوا أبنية فيها. (الطبرى،
١٩٨٣، ج ٦، ص ٢٤٣). لقد نبغ من هذه الاسرة شخصيات كثيرة نذكر منهم :

النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى كان دور الوكيل الثالث للأمام الحجّة متنوعاً
ومهماً جداً في إدارة وقيادة العوائل والأسر الشيعية التى لها مقام اجتماعى كبير فى
بغداد (الطوسى ، ١٤١١، ص ٤٠٣) ، لذلك كانت السلطة العباسية فى حذر شديد منه ومن
أسرته واسعة النفوذ، وتمّ اتهامه بالسعى لإسقاط الخلافة فى بغداد بالتعاون مع القرامطة
(الذهبي ، ١٩٩٣، ج ١٥، ص ٢٢٤).

أبو سهل إسماعيل النوبختى، من الشخصيات المرموقة والمهمة اجتماعياً وعلمياً ، كان
رجل أعمال لادارة اموال الاسرة ومن تعلق بها ، وكان من الفلاسفة والمتكلمين الشيعة ، وله
مولّفات كثيرة (النجاشى، ١٤١٦، ص ٣١)

البرامكة: أسرة يعود أصلها إلى مدينة بلخ، وكانوا فى الأصل مجوساً ثم دخلوا الاسلام،
وهم ينتسبون إلى جدّهم الأكبر برمك، وقد أسلمت ذريته وتزعموا الحراك السياسى فى
خراسان، وكانت أسرة البرامكة من الاسر المهمة فى الدولة العباسية (الحموى، ١٩٧٩، ج ٥،
ص ٣٠٧).

وهنا لا بد لنا أن نذكر أنه ليس من السهل القطع بتشيع هذه الاسرة ، اذ إن الأدلة على
ذلك قد تمّ تغييبها ، لكن بجمع الشواهد يمكن لنا الخروج بنتيجة قد تكون أقرب الى
الحقيقة.

فمن الشواهد أنهم احتضنوا شخصيات شيعية مهمة فى عاصمة الخلافة، وفى أخطر
أماكن سياسية وقيادية، وهى قصور الخلفاء العباسيين، ما جعل بعض المتأخرين يقطع
بتشيعهم ، فقال: « هشام بن الحكم أكبر شخصية شيعية فى علم الكلام، وحظى عند البرامكة
لتشيعهم المستتر » (أحمد أمين، ٢٠٠٣، ص ٢٤٨).

٥. مطالعات تاریخی جهان اسلام

سال هشتم، شماره ١٥، بهار و تابستان ١٣٩٩

وهشام كما هو معروف كان الشخصية الاولى في علم الكلام ، وله قوة البديهة والحجة في مناظراته ، وكان بعض تلك المناظرات يمس الجهاز الحاكم (ابن قتيبة الدينوري، ١٤٢٤، ج ٢، ص ١٦٦). وكان البرامكة مانعاً أمام الدولة من الفتك بهشام او إضراره، حتّى أنّه اضطر للهرب من بغداد حينما حلّت بهم النكبة، وعلم أنّ القتل سيصل اليه أيضاً، و توفي بعد نكبة البرامكة مذعوراً ومستتراً (احمد امين، ٢٠٠٣، ص ٢٦٨-٢٦٩).

وقد رجّح بعض الكتّاب أنّ البرامكة كانوا يؤيدون زعيم الإسماعيلية محمد بن جعفر الصادق، وهو زعيم فرقة مهمة من فرق التشيع ايضا (لويس ماسينيون، ٢٠٠٤، ص ٢٧٧)، وقد يكون هذا هو السبب وراء الإبادة التي حلّت بهم (سيدحسن موسى، ١٣٨١، ص ٥٤).

ويروى ايضاً أنّ السلطات العباسية ألقت القبض على كتب ورسائل كانت موجهة الى الامام الرضا (ع) كتبها جعفر البرمكي، وبحث فيها استرداد الخلافة للعلويين، فعلم بها هاورن وأمر بإعدام البرامكة واتباعهم، حتّى بلغ عدد من قُتل في بغداد وحدها ثمانية آلاف (الطويل محمد، ١٩٢٤، ص ١٦٠). كما ذهب الطوسي الى تشيع البرامكة، ووصف يحيى البرمكي بانه يتولّى الامام الكاظم، وحاول درء القتل عنه أيام سجنه في بغداد (الطوسي، ١٤١١، ص ٢٠). ومن الشواهد ايضاً أنّهم سعوا في إخراج الوزير الشيعي يعقوب بن داوود من حبس المهدي له حين امتحنه بقتل احد العلويين، فامتنع وأخلى سبيله (ابن خلكان ، بدون تاريخ، ج ٧، ص ٢٤).

أسرة آل الفرات: من الاسر ذات النسب العريق والنبيل، تولى أعضاء منهم القيادة عند الشيعة لفترة طويلة، حتى وصل معظم أبنائها بفضل مهارتهم إلى المراتب المشرفة والوظائف السامية. (التنوخى، ١٩٩٥، ج ٨، ص ٩١)، وكان لهم تأثير كبير على المتعاقبين على الخلافة انذاك. (لويس ماسينيون، ٢٠٠٤، ص ٣٥١) وكان بهم قوة للتشيع، فقد أبعدها احد الشخصيات المهمة من بغداد إلى واسط، «وهو أبو بكر السجستاني ابن سليمان بن ابي داود السجستاني، احد مؤلفي الكتب الستة؛ لانه نصب البغض لأمير المومنين على» (الذهبي، ١٩٩٣، ج ١٤، ص ٤٧٩).

وقد نسقت العائلتان الشيعيتان الكبيرتان (آل الفرات وآل نوبخت) عملهما معاً (زمن وكالة العمرى الثاني (٢٥٨ - ٣٠٥هـ)، ووزارة ابن البليل، ونجحت سلطة الوكيل العمرى الثاني فى الحفاظ على وحدة الجماعة الشيعية فى سنوات مصيرية (لويس ماسينيون، ٢٠٠٤، ص

(٢٧٩).

آل البريدي: من أشهر الأسر التي كانت ضالعة في شؤون الحكومة يومئذ ، وكان لها شأنها الكبير؛ لكفاءتها وكياستها ، وكانت تتولّى أمر أموال البصرة والأهواز لسنوات عديدة، وقد علا كعبهم كثيراً في وزارات ابن مقلّة؛ لأنّ أحدهم، وهو أحمد بن محمد بن يعقوب البريديّ، سعى كثيراً في نصب ابن مقلّة وزيراً للمقتدر سنة ٣١٦هـ على رغم عليّ بن عيسى واستحصل منه أمراً بخراج الأهواز. وحينما تمّ عزل ابن مقلّة أرسل القاهر أحد خدمه إلى دار أبي جعفر الوزير ليقبض على أولاد البريديّ وإسحاق النويختي الذين كان يظنّ أنّهم فيها، وكان أولاد البريديّ على علم بهذا الأمر بواسطة جواسيسهم ، فاخبتوا قبل وصول مبعوث القاهر، لكنه صادر أموالهم وهتك حرمتهم(ابن مسكويه، ٢٠٠٠، ج ٥، ص ٣٦٠).

آل البسطام: أسرة شيعيّة شهيرة، اصلها من منطقة بسطام بلدة بين خراسان والعراق، وقيل: قرب دامغان(القرويني، بدون تاريخ، ص ٢٧٠)، تقلّدت مناصب عالية دينيّة وديويّة ، ونالوا المراتب المحترمة، خصوصا في فترة وزارة ابن الفرات، يقول ابو الحسين: سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول وقد دفع اليه صاحب الخبر خبراً ، فقرأه وخرقه: « يتمعضني بعض الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب، وتفريقي الأعمال على آل بسطام و آل نويخت» (التنوخى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٣٠١).

وقد استطاع بنو البسطام أن يخلّصوا كثيراً من الشخصيات الشيعيّة من الاعتقالات التي كانت تطالهم بين فترة وأخرى، خصوصا حين تختلف موازين القوى السياسية، وقد «كان لهم شبكة اتصالات قويّة وسريعة في عملها، حتى إن الشيعة كانوا كلهم يعرفون على القرب والبعد متى يقوم الخليفة أو وزيره بعمل ضدّهم»(جواد على، ٢٠٠٥، ص ١٢١)، وكانت تعقد لهم مجالس خاصة بنساء بنى البسطام، مهمتها نشر الفكر الشيعي في بغداد (الطوسي ، ١٤١١، ص ٤٠٣).

اسرة آل يقطين: من العوائل العلميّة التي سكنت واستوطنت بغداد في القرن الثاني الهجري، كان كبيرها يقطين بن موسى (ت ١٨٨ هـ) احد المطاردين من قبل الامويين لانه من دعاة العباسيين، وعلى الرغم من كونه مقرباً للعباسيين إلاّ انه كان من المحبين للعلويين (الجاحظ، ٢٠٠٦، هامش ص ١٩٢) ، وكذلك ابنه على (١٨٣-١٢٤ هـ) (الكشي، ١٤٠٤، ج ١، ص ٣٧١) فإنّه من محبي وأتباع آل أبي طالب، ومن أشهر رجال هذه الأسرة، وتبعه

أبنائه وأهل بيته على هذا الولاء و التشييع، وهو من اصحاب الامام الكاظم عليه السلام ومن المحدثين والرواة (ابن النديم، بدون تاريخ، صص ٢٦٩). تقلد في حكومة هارون مناصب مهمة، وكذلك أخوته خزيمه ويعقوب من اصحاب الامام الكاظم عليه السلام، ومن الرواة أيضاً، وكذلك اولاده الثلاثة من جملة العلماء والمحدثين الإمامية في بغداد (الكشي، ١٤٠٤، ج ٢، ص ٧٧٩)، وكذلك محمد وأحمد وجعفر أبناء عيسى بن عبيد بن يقطين، من جملة المحدثين أيضاً، وكان محمد أبرزهم (المصدر السابق)، وهناك أسماء أخرى كانوا من اصحاب الرضا والجواد عليه السلام.

اسرة آل مهران: من العوائل التي سكنت الكرخ من بغداد، ومن العوائل التي عرفت برواية الحديث عن اهل البيت (ع). رجالها من كبار المحدثين الامامية (الكشي، ١٤٠٤، ج ٢، ص ٨٣٧)، منهم احمد بن عبد الله بن مهران وهو من اهم شخصيات هذه الاسرة العلمية، ومن تلاميذ يونس بن عبد الرحمن المميزين حتى عرف باسم اليونسي، وهو من كتب لأستاذه كتاب يوم وليلة، و يعتبر ابنه محمد بن احمد من الاصحاب الذين تعتمد عليهم الأمامية (النجاشي، ١٤١٦، ص ٩١-٤٤٨).

آل الكرخي: إن التسمية الأكثر شهرة هي الكرخيون، وهم أسرة كبيرة، وبرز منها رجال كبار اجتماعياً، وكان بعضهم من أعوان الوزير ابن فرات الذي دربهم بنفسه. ان أبرز أفراد هذه الأسرة هو القاسم بن علي بن محمد الكرخي، وأخوه الحسن، وولدا قاسم: جعفر، ومحمد، وقد قال القاضي التنوخي فيهم: تقلدوا الدنيا؛ فقاسم تقلد كور الأهواز ومصر والشام وديار ربيعة، وابنه جعفر تقلد كور الأهواز وفارس وكرمان والتغور وبلاداً أخرى، وابنه الآخر محمد تقلد الجبل وديوان السواد وقطعة من المشرق كبيرة والبصرة والأهواز (التنوخي القاضي، ١٩٩٥، ج ٢، ص ١٣٥).

آل بزيع: من العوائل العلمية الشيعية التي استقرت في بغداد، ويطلب من الخليفة المنصور العباسي نفسه، وكان لهم منصب سياسي في الخلافة العباسية (الكشي، ١٤٠٤، ج ٢، ص ٨٣٥). ويعتبر محمد بن اسماعيل بن بزيع من اهم شخصيات هذه الاسرة، وهو من اصحاب الامام الكاظم والامام الرضا عليهما السلام، ومن محدثي الشيعة ورواتهم، وكذلك عمه حمزة بن بزيع، فهو من المحدثين ايضاً (النجاشي، ١٤١٦، ص ٣٣٠).

هذه نماذج من الاسر الشيعية التي كان لها حضور اجتماعي في بغداد منذ التأسيس

وحتى نهاية الفترة التي نعني بها، كما أن هناك أسراً شيعية أخرى مثل بنو الفياض وبنو النهيك وغيرهما، اعرضنا عن ذكرها خشية الإطالة.

ما نريد قوله هنا: أن هذه الاسر والعوائل والشخصيات كان لها دور اجتماعي مهم في التقارب والتأثير في محيط بغداد وجمهور المذاهب الاخرى لقبول مذهب التشيع او التعايش معه بسلام على أقل التقادير، وهناك نماذج كثيرة تبين التزاور والتلاقى الاجتماعى والحضور فى المجالس التى كانت تعقد بحضور شخصيات اجتماعية من المذاهب الإسلامية فى بغداد، ولعل مشاركة الوكيل الثالث الحسين بن روح شاهد على ذلك . (الطوسى، ١٤١١، ص ٣٨٥).

٣.٢. الوكلاء

شاع نظام الوكلاء فى الفكر الشيعى، وورد فى كلمات وكتب ورسائل الائمة عليهم السلام بشكل واضح (الكلىنى، ١٣٨٨، ج ٥، ص ١١١)، وكان الوكلاء يقومون بعملهم بتنصيب مباشر من الائمة، لخطورة الأمر وعظم المسؤولية وأهميتها.

وعلى الرغم من تحسن الظروف فى فترات كثيرة إلا أن هذا النظام لم يخرج عن جانب السرية او التكتّم او الحذر والترقب، ففى عام (٢٣٢ هـ) أقدم المتوكل العباسى على حملة اعتقالات طالت الامامية، حيث ألقى القبض على وكلاء الامام الهادى فى بغداد، وجعل بعضهم تحت التعذيب، وسجن البعض الاخر، وقد احدثت هذه الحملة من أجهزة أمن الخلافة خلافاً واضحاً فى شبكة الوكلاء، فاقدم الامام على نصب شخصيات جديدة لهذه المهمة (الطوسى، ١٤١٥، ج ٢، ص ٨٠٠).

وقد قسم الشيعة فى حياة الامام الكاظم وما بعدها المدن والمناطق الى دوائر لعمل الوكلاء وتنظيم العمل فيما بينهم، كل دائرة كان عليها وكيل، فكانت الدائرة الاولى، وهى المركز تضم بغداد، المدائن، السواد، الكوفة، وهى جميعها دائرة واحدة عليها وكيل بغداد (جاسم حسين، ١٣٩٢، ص ١٣٧).

وظهرت على ساحة بغداد وتوابعها مجموعة من الوكلاء يمكن ان نذكر ابرزهم:

عبد الرحمن بن الحجّاج البجلي (توفى فى حدود ٢٠٣ هـ)

الفقيه الكبير والوكيل الجليل أبو على عبد الرحمن بن الحجّاج الكوفى البجلي بالولاء،

أدرك الإمام أبا عبد الله الصادق وتوكل له، ثم صار من خواص الامام الكاظم (النجاشي، ١٤١٦، ص ٢٣٨) ومن وكلائه المقربين، ثم أدرك عصر الامام الرضا عليه السلام ومات في زمانه (الطوسي، ١٤١١، ص ٣٤٨).

كان الوكيل عبد الرحمن الرابط بين شيعة بغداد وبين الامام في المدينة المنورة، وكان دائم السفر بين هاتين المدينتين (الكشي، ١٤٠٤، ص ٤٣١). ما يعني في هذا النموذج الاول وينفعا في بحثنا الاجتماعي هو كثرة الاموال التي كانت تصل الى هذا الوكيل، ما يدل على كثرة الشيعة في هذه الفترة المبكرة من تاسيس بغداد، وهو مؤشر واضح على حجم الشيعة في هذه المدينة التجارية والعاصمة الجديدة، اذ تنقل عن عبد الرحمن بن الحجاج نفسه هذه الرواية التي يذكرها الكشي بسند قوي، اذ يقول فيها عنه: «خرجت عاماً من الأعوام ومعى مال كثير لأبي ابراهيم عليه السلام» (الكشي، ١٤٠٤، ج ٢، ص ٧٣٠).

زياد بن مروان القندي البغدادي (ت قبل ٢٠٣ هـ).

أبو الفضل مولى بني هاشم، كان من كبار الشيعة في بغداد، استطاع وبجدارة أن يخترق الحكومة العباسية ويصل الى مناصب مهمة فيها، (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، ج ١، ص ١٠٧) حتى أصبح وزير خزانة الدولة العباسية في عهد هارون «مع كونه مؤلفاً شيعياً متطرفاً مشهوراً ذكره ابن نصير. وكانت هذه هي الحالة الأولى للتسرّب الشيعي إلى الإدارة المالية العباسية. (لويس ماسينيون، ٢٠٠٤، ص ٢٧٧)

وقد وجهه الامام الكاظم للاستفادة من هذا المنصب لصالح الشيعة والموالين والأنصار، في محاوره غاية في الأهمية يرويها لنا صفوان الجمال (النوري الميرزا حسين، ١٩٨٧، ج ١٣، ص ١٣٥).

والجدير بالذكر أنه في فترة سجن الامام الطويلة اصبح للوكلاء مكانة اجتماعية مرموقة جداً، وقد جمعوا اموالاً طائلة تؤشر الى حجم الاتباع والشيعة والموالين في بغداد، وفي الكرخ على الخصوص، اذ يروي لنا يونس بن عبد الرحمن، فيقول: «مات أبو الحسن وليس من قوامه أحد إلاّ عنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقوفهم وجودهم موته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار» (القمي، ١٤٠٤، ص ٧٥).

وبعد شهادة الامام الرضا عليه السلام كانت بغداد هي المقر الرئيس لاجتماع الوكلاء، وكانوا

أصالة التشيع اجتماعياً في بغداد حتى نهاية الغيبة الصغرى ٥٥

ثمانين وكيلاً من مختلف المدن، وانعقد الاجتماع في بيت عبد الرحمن بن الحجاج، وكانت مشكلة صغر الامام قد تمّ طرحها على ساحة البحث والنقاش، وتمّ اجتياز هذه العقبة الفكرية بفضل جهود هؤلاء، ومحافظة الأغلبية منهم على إيصال توجيهات الإمام الجواد في هذا الجانب الى شيعته، وإرسال الوكلاء والمبلّغين باسم الامام الجواد الى المدن الاخرى (الطبرى الشيعي، ١٤١٣، ص ٣٨٨).

ومجريات هذه الأحداث حصلت نفسها بعد شهادة الامام الجواد، اذ اجتمع الشيعة في بغداد وعلى رأسهم الوكيل محمد بن فرج، وتمّ تثبيت إمامة الهادي عليه السلام دون مخالف، وارسال الأمر الى جميع المبلّغين بذلك (الكلينى، ١٣٨٨، ج ١ ص ٣٢٤). وأصبح للإمام الهادي وكلاء كثيرين في الولايات والمدن الاسلامية والشيعة. وبضعة وكلاء أعلى درجة في بغداد، ذُكرت أسماءهم مع التوثيقات الصادرة بحقهم من قبل الإمام في النصوص والمصادر الشيعية القديمة (حسين المدرسى، ١٤٢٣، ص ٢٤).

و من الوكلاء المهمين للأمام الهادي عليه السلام في بغداد، على سبيل المثال: الحسن بن راشد، مولى لآل المهلب البغدادي. كان من الفقهاء الأعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام، الذين لا يطعن عليهم بشيء، ولا طريق لذمّ واحد منهم (الطوسى، ١٤١١، ص ٣٥٠).

أبو هاشم الجعفرى ، كان على بغداد وأطرافها (الطبرى، ١٩٨٣، ج ٧، ص ٥١١). سليمان حفيد زرارة بن أعين ، فقد كان وكيل الامام الهادي في بغداد وتابعها(جبارى محمد رضا، ١٣٩٣، ج ١ ص ٨٥).

وبعد وفاة الامام العسكرى توسعت المهام وأصبح للنائب عدّة وكلاء في بغداد، لذلك تمّ استدعاء أحمد بن إسحاق، وكان وكيل الامام العسكرى على أوقاف قم، وقد تمّ استدعاؤه من قبل السفير الأوّل ليكون وكيلاً ومعاوناً له في الأمور المالية (الكلينى، ١٣٨٨، ج ١، ص ٥١٧).

وكذلك محمد القطن الوكيل الثانى للسفير الاول في بغداد، وهو من الشخصيات الشديدة الحذر، وكان يخفى الرسائل والأموال في طيات القماش عن الأعين حتى يوصلها للسفير الأوّل (المجلسى، ١٩٨٣، ص ٥١، ص ٣١٦).

وكان للنائب الأوّل ثلاثة وكلاء في بغداد، وهم: احمد بن اسحاق، محمد بن احمد بن

القطن، حاجز الوشاء، وأما النائب الثاني فكان تحت تصرفه عشرة وكلاء في بغداد يعملون من أجل ادارة السفارة، وضمن هؤلاء الحسين بن روح النوبختي (الصدوق، ١٣٦٣، ص ٤٨٨)، الامر الذي يدل على توسع الحركة الاجتماعية الشيعية في بغداد.

٤. عوامل انتشار التشيع في بغداد

استقام الأمر الى العباسيين، وانطلقت الحيلة على الجماهير التي نادى بالرضا من آل محمد ﷺ، وأصبح أبو سلمة الخلال (وزير آل محمد) وأبو مسلم الخراساني (أمين آل محمد)، وما هي إلا أشهر قليلة حتى بان حقيقتة هذه الدولة الجديدة. وقد ساعدت عوامل عدة في امتداد التشيع وتوسعه في هذه المدينة، نذكر منها عاملين:

٤.١. الالم والدم العلوي

انبرى السفاح العباسي بعد أن أمسك الدولة بيد من حديد لمحاربة العلويين بطرق متعدّدة، فهو أول من دسّ الجواسيس الى بنى الحسن ﷺ (الاندلسي احمد بن محمد بن عبد ربه، ١٩٨٣، ج ٤، ص ٥٩)، ثمّ تفنّن العباسيون فيما بعد بأساليب الحبس والقتل فيهم الى الحدّ الذي دُفِنوا فيه احياء في اسطوانات بناء العاصمة بغداد (الصدوق، ١٩٨٤، ج ٢، ص ١٠٢). وامتنع بعض الناس حتى من رد السلام على العلويين. (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، ج ٦، ص ١٢٨)

إلا أنّ هذه القسوة خلقت ثورة اجتماعية كبيرة ضد العباسيين وردود فعل عكسية، وأصبحت سبباً في انتشار محبة العلويين و التشيع لهم في بغداد وغيرها من المدن الاسلامية، وقد ضحى كثير من الناس بأرواحهم (احمد امين، ضحى الإسلام، ص ٢٩٢) لإيقاظ العلويين من بطش سلطة العباسيين (الصدوق، ١٩٨٤، ج ٢، ص ١٠٢). وللإمام الجواد عليه السلام وصف يشعر بعظم المصائب التي نالت العلويين من قبل العباسيين، ومن اشدها ما حصل لهم في وقعة فخ، فقد أرسلت رؤوس العلويين الى موسى الهادي العباسي عام (١٦٩)، وإن كان الامام الجواد لم يدرك الحادثة، إلا أنّها بقيت جمرّة في قلوبهم، إذ يقول عليه السلام: «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ» (أبو الفرج الأصفهاني، ١٩٦٥، ص ٣٠٤).

وارتفعت أصوات كثيرة ضد هذا البطش، ودُرفت الدموع وسالت على ما حل بالعلويين

وما أصابهم من سياط وسيوف العباسيين، وتحوّلت هذه الدموع الى نقمة عليهم، كما كانت دموع الجماهير والمسلمين على الحسين وزيد بن علي عليهم السلام نقمة على الامويين. ولقد حاول العباسيون إسكات الاصوات التي تذكر تلك الماسى بشتى الوسائل، وإن كانت بنيش قبور من مات منهم (المرزباني، ١٩٦٨، ص ٨٦). وعلى الرغم من المنع الشديد وصل إلينا نص ووثيقة شعرية بغدادية تحمل فى طياتها معاناة العلويين، قالها الناشئ الصغير البغدادي (٢٧١ - ٣٦٥ هـ)، يقول فى اولها:

بنى أحمد قلبى لكم يتقطعُ
بمثل مصابى فيكم ليس يُسمعُ

(الحموى، ١٩٨٠، ج ١٣، ص ٢٩٢)

٤.٢. مشاهد ائمة الشيعة فى بغداد

من اهم المقابر فى بغداد مقبرة قريش، وكان يُعرف قسمها الشرقى على الأغلب بمقابر باب التبن، وكان المنصور أول من جعلها مقبرة حينما أبتنى مدينته، وأول من دُفن فيها كان أبنه جعفر الأكبر الذى تُوفى سنة (١٥٠ هـ) (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، ج ١، ص ١٣٣). ولا خلاف عند الشيعة بأنه تستحب زيارة قبر رسول الله ﷺ والأئمة من أهل بيته عليهم السلام استحباباً كبيراً، وقد تواترت الأحاديث والروايات عنهم فى ذلك. (الحر العاملى، ١٤٠٣، ج ١٠، الباب ٤٤ من أبواب المزار، ح ٢، ص ٣٤٤)

لقد شهد اوائل القرن الثالث نزاعاً فكرياً و اجتماعياً حول زيارة القبور عموماً و قبور العلويين خصوصاً، فقد كانت زيارة قبر الرسول تلقى قبول المسلمين فى المستوى الشرعى، أمّا زيارة العلويين فإنها محلّ احتراز وخلاف بين بعضهم، لذلك وردت المقارنة و الحث على زيارة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه الصلاة والسلام بمدينة بغداد ومقارنتها بشوَاب زيارة رسول الله ﷺ فقد روى عن الرضا عليه السلام انه قال: «من زار قبر أبى ببغداد كان كمن زار رسول الله وقبر أمير المؤمنين، إلا أن لرسول الله وأمير المؤمنين فضلهما» (ابن قولويه، ١٤١٧، ص ٢٨٠). باعتبار أن المشروعية وقبول المسلمين من المتفق عليه فى زيارة الرسول ص، فجاء هذا الحديث وهذا التفريع على تلك المشروعية واثبات الشرعية لهذه الزيارة فى وقت متقدم جداً وهو نهاية القرن الثانى. وكانت خطوة اساسية من الامام الرضا فى تثبيت زيارة قبر الامام الكاظم فى بغداد لجمهور الشيعة (ابن قولويه، ١٤١٧، ص ٥٠٠).

وهذا التوجه الشيعي هو ما دفع بالمقابل جمهور المسلمين من الحنابلة يتقدمهم فقهاؤهم بزيارة قبر ابن حنبل، حتى أصبحت قاعدة متبعة بعد أربعين عاماً تقريباً من وفاته (ت ٢٤١ هـ)، وذلك في انحراف خطير عن التزمّت الحنبلي (ابن الأثير، ١٩٦٥، ج ٨، ص ٣٠٨). وأصبح قبر ابن حنبل من أماكن الخلوات والتعبّد، فقد «كان الحلاج (٢٤٤-٣٠٩ هـ) غالباً ما كان يتخذ له خلوات قرب ضريح ابن حنبل (١٦٤-٢٤١ هـ)، أمراً مريديه أن يذهبوا هناك فيقيموا الصلوات ويعظّوا الناس ويتعبّدوا ويصوموا» (لويس ماسينيون، ٢٠٠٤، ص ٢٢٠). الامر الذي دعا الخليفة الراضي بالله عام (٣٢٣ هـ)، عندما تعاضمت تلك الحالة، الى اصدار كتاب ضدهم، جاء فيه:

«ثم طعنكم على خيار الأئمة، ونسبتكم شيعة آل محمد إلى الكفر والضلال، ثم استدعأؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة، وتشنيعكم على زوارها بالابتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام (هو ابن حنبل) ليس بذي شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله، وتأمرون بزيارته، وتدعون له معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء» (ابن الأثير، ١٩٦٥، ج ٨، ص ٣٠٨).

وأما قبر الإمامين الكاظم والجواد فقد اصبحا مختلفاً للشيعه في بغداد، ومما يستدل به على ذلك أنه في عصر الغيبة حصلت مضايقة على الشيعة في بعض السنوات، فأمرت السلطة العباسية بإلقاء القبض على الإمامية الذين ياتون الى زيارة قبر الإمامين للحصول على المعلومات اللازمة، وبحسب المصادر الشيعية بائت محاولتهم بالفشل، ووصل الامر الى آل الفرات والبصريين (ظاهراً من الناحية المقدسة) يامرهم بعدم زيارة قبور قريش في بغداد حينها (الكليني، ١٣٨٨، ج ١، ص ٥٢).

النتائج

تبين لنا بعد هذه الحقائق والأدلة التي عرضناها مايلي:

لقد ساهمت في تكوين مدينة بغداد مدن قريبة منها جغرافياً وسياسياً وعسكرياً وعلى الأصح أنّها مدينتان وبلدة، وهي: (المدائن - الكوفة - خراسان).

أصبحت هذه المدن الركيزة المهمة في تكوين العاصمة والمؤثر الأول والطبيعي فيها؛ لقربها منها أولاً، واعتماد الثانية عليها في بداية التأسيس اعتماداً لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الاحوال ثانياً .

أضيف لسكان بغداد تركيبة مهمة وطبقة أخرى ومكون جديد، وهم الجنود الكثر أنصار الدولة العباسية من خراسان، الذين جاؤوا واستقروا فيها بعد اكتمال بنائها الأول، وكان لكل من هؤلاء أثر مهم في أصالة التشيع وانتشاره في بغداد؛ باعتبار أنّهم الأصوات التي نادى بالرضا من آل محمد.

أنّ العوائل الشيعية مثل النوبختية و آل الفرات والكرخيين او الشخصيات مثل عبد الرحمن البجلي والوكلاء الأربعة وغيرهم الذين عاشوا او انتقلوا الى بغداد لأسباب شتى، كان لهم تأثير اجتماعي كبير في نشر التشيع والمحافظة عليه أمام كل الهجمات الفكرية والعقدية، وكان ذلك عن طريق مجاميع مهمة من القبائل والشخصيات من أبنائها.

لقد استقرّ الشيعة في أماكن ومحلات معروفة في بغداد واستوطنوها في بداية أمرهم، ثمّ انتشروا وسيطروا على مناطق ومحلات أخرى مهمة في بغداد أيضاً.

أنّ لمظلومية العلويين اثراً مهماً في زيادة عدد الشيعة وكثرة مريديهم؛ لما رأوه من قسوة وظلم نالهم دون سبب حقيقي واضح .

لا يقل أهمية عن ما ذكرناه الدور الكبير الذي كان لمقابر قريش في بغداد، بما لها من أثر اجتماعي في الحفاظ على التشيع، وبقيت منبراً وملاذاً لشيعة بغداد استطاعوا من خلالها إيصال الكثير من افكار التشيع الى العالم الاسلامي عموماً والبغدادي خصوصاً.

٦. مطالعات تاریخی جهان اسلام
سال هشتم، شماره ١٥، بهار و تابستان ١٣٩٩

المصادر و المراجع

- ابن ابی الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتاب العربى و مؤسسة مطبوعاتى اسماعيليان، بيروت، ١٤١٧.
- ابن الجوزى، عبد الرحمن بن على بن محمد، المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد، وفيات الاعيان وانباء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، لبنان، بدون تاريخ.
- ابن طباطبا ابو اسماعيل، منتقلة الطالبية، تحقيق محمد مهدى الخرسان، المكتبة الحيدرية، الطبعة الاولى، ١٣٧٧ هـ.
- اسماعيل بن حماد الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وتاج العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.
- الاتابكى، يوسف بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، مع استدراقات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والارشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة.
- الاسد ابادى الهمدانى، القاضى عبدالجبار، تثبيت دلائل النبوة، طبع عبد الكريم عثمان، بيروت، ١٩٦٦.
- الأصفهانى، أبو الفرج على بن حسين، مقاتل الطالبين، تقديم كاظم المظفر، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران منشورات المكتبة الحيدرية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
- امين، احمد، ضحى الاسلام، تحقيق محمد فتحي، الدار المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣ م.
- الاندلسى، احمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م.
- البلاذرى، احمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودى، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٧.
- التنوخى، ابو على المحسن بن على، نشوار المحاضرة و اخبار المذاكرة، تحقيق عبود شالجي المحامى، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

٦١ أصالة التشيع اجتماعياً في بغداد حتى نهاية الغيبة الصغرى

- الثقفي الكوفي، ابراهيم بن محمد، الغارات، حققه وعلق عليه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٩٩٠ م.
- الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر، تنبيه الملوك والمكاييد، دراسة وتحقيق ياسر محمد ياسين، عباس فاضل و محمد كريم الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م.
- جاسم، حسين، تاريخ سياسى غيبى امام دوازدهم، ترجمة دكتور سيد محمد تقى ايت اللهى، مؤسسة انتشارات امير كبير، تهران ١٣٩٢ هـ ش.
- جب، هاملتون، دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس، محمد يوسف نجم و محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩ م.
- جبارى محمدرضا، سازمان وكالت و نقش آن در عصر ائمة، مؤسسة اموزشى امام خمينى، قم، ١٣٩٣.
- جرجى زيدان، تاريخ التمدن الاسلامى، مؤسسة هندواى، مصر العربية، ٢٠١٢.
- الجزرى، ابن الأثير عز الدين ابي الحسن، الكامل فى التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥ هـ _ ١٩٦٥ م.
- جعفرىان، رسول، تاريخ تشيع در ايران از اغاز تا طلوع دولت صفوى، نشر علم، تهران، ١٣٩٣.
- جواد على، المهدي المنتظر عند الشيعة الاثنى عشرية، ترجمه عن الالمانية د. ابو العيد دودو، منشورات الجمل، ٢٠٠٥ م.
- الحر العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، دار احياء التراث، بيروت، لبنان ١٤٠٣.
- الحموى، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٧٩.
- الحموى، ياقوت، معجم الأدباء، دار الفكر، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠.
- حيدر، نجم، اصول الشيعة الهوية والطقوس والفضاء المقدس فى الكوفة فى القرن الثامن، ترجمة سلوى قروى العونلى - معز مديونى، منشورات الجمل، الطبعة الاولى، لبنان، ٢٠١٧.
- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن على، تاريخ بغداد (مدينة السلام)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- الدينورى، ابن قتيبة، عيون الأخبار، علق عليه الدكتور يوسف على الطويل، دار الكتب

٤٢ مطالعات تاريخي جهان اسلام

سال هشتم، شماره ١٥، بهار و تابستان ١٣٩٩

العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ

الذهبي، شمش الدين، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.

رازي، احمد بن محمد ابن مسكويه، تجارب الامم وتحقيق الهمم، تحقيق ابو القاسم امامي، سروش، طهران، ٢٠٠٠.

سيد عبد الله حسيني، تعامل شيعيان اماميه باديكر مسلمانان در سه قرن اول هجري، دفتر تبليغات اسلامي حوزه علمية قم، بزوهشگاه علوم وفرهنگ اسلامي، جاب دوم، ١٣٩٥، الجمهورية الاسلامية الايرانية.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، دار السرور، بيروت، ١٩٤٨. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، عيون اخبار الرضا، تقديم حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٤.

الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، كمال الدين واتمام النعمة، صحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم، قم، ١٣٦٣ ش.

الصوفي، حمدان، مفهوم الأصالة والمعاصرة، أطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى، ١٤١٦ هـ

الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣ م. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، دار التفائس، الطبعة السابعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ م.

الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، مؤسسة المعارف، قم، ايران، ١٤١١. الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ايران، ١٤١٥.

الطويل، محمد، تاريخ العلويين، مطبعة الترقى، اللاذقية، سوريا، ١٩٢٤ م. عبد الحسين، علي احمد، انتشار القبائل العربية في خراسان حتى نهاية الحكم الاموي، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، العدد العاشر، ١٩٩٨.

العلي، صالح احمد، معالم بغداد الادارية والعمرانية، دراسة تخطيطية، دار الشؤون الثقافية

العامّة، بغداد ١٩٨٨

القزويني، زكريا بن محمد، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

القمي، جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه، كامل الزيارات، تحقيق جواد قيومي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ايران، ١٤١٧.

القمي، علي بن الحسين بن بابويه، الامامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي، قم، ١٤٠٤ هـ.

كحالة، عمر بن رضا، معجم قبائل العرب، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٩٩٤ م.

الكشي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة ال البيت، مطبعة بعثت، قم المقدسة، ١٤٠٤.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الناشر دار الكتب الاسلامية، تهران، ١٣٨٨.

ماسينيون، لويس، المتنبي ازاء القرن الاسماعيلى فى تاريخ الاسلام، ترجمة وتعليق ودراسة د. ابراهيم عوض، بدون بلد الطبع، ١٩٨٨ م.

ماسينيون، لويس، آلام الحلاج، ترجمة: الحسين مصطفى حلاج، دمشق، دار قدمس للنشر، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤ م.

ماسينيون، لويس، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة وتعليق: تقى بن محمد المصعبى، بغداد، دار الوراق، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩ م.

المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، تحقيق محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخراسان، السيد ابراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثالثة المصححة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.

محمد بن جرير الطبري الشيعي، دلائل الامامة (المنسوب له)، مؤسسة البعثة، قم، الاولى، ١٤١٣.

محمد بن اسحاق ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد. بدون تاريخ.
المدرسى الطباطبائي، حسين، تطور المباني الفكرية للتشيع فى القرون الثلاثة

٤٤ مطالعات تاریخی جهان اسلام

سال هشتم، شماره ١٥، بهار و تابستان ١٣٩٩

- الاولی، ترجمه الدكتور فخری مشكور، مطبعة شریعت، الطبعة الاولى ١٤٢٣ هـ
المرزبانى، مختصر اخبار شعراء الشيعة، شركة الكتبی، بیروت، لبنان، ١٩٦٨.
المسعودی، ابوالحسن علی بن الحسين بن علی، مروج الذهب و معادن الجواهر، دققها
یوسف اسعد داغر، منشورات دار الهجرة، قم، ١٩٨٤.
المفید، أوائل المقالات، دار المفید، الطبعة الثانية، بیروت لبنان، ١٩٩٣.
ملك مكان، حمید امیر سلطانی و مصطفى سلطانی، تشیع در عراق در قرون نخستین،
انتشارات ادیان و مذاهب، قم، ١٣٨٩.
المنقری، نصر بن مزاحم، وقعة صفین، تحقیق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية،
الموسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢.
منتظری مقدم، حامد، باز شناسی تاریخی مفاهیم شیعة، مجله تاریخ اسلام در آینه
پژوهش، شماره ٣٦، تابستان ١٣٩٣
موسوی، سید حسن، زندگی سیاسی و فرهنگی شیعیان بغداد، موسسة بستان کتاب، قم
المقدسة، ١٣٨١ ش.
مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجرى، اخبار الدولة العباسية، تحقیق د. عبد العزيز
الدورى و د. عبد الجبار المطلبی، دار الطليعة، بیروت ١٩٧١.
النجاشی، ابو العباس احمد بن علی، رجال النجاشی، موسسة النشر الاسلامی التابعة
لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٦.
النوبختی، الحسن بن موسی، فرق الشيعة، دار الأضواء، بیروت، ١٩٨٤.
النورى، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، موسسة آل البيت لاحیاء التراث، الطبعة
الاولی، ١٩٨٧ م.
هالم، هاینس، الغنوصية فى الاسلام، ترجمة رائد الباش، منشورات الجمل، بیروت،
لبنان، ٢٠١٠ م.
اليقوبی، احمد بن ابی یعقوب، تاریخ اليعقوبی، منشورات الشريف الرضى، قم، ١٤١٤.